لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم
او لانه لا ينفعكم الاعتذار توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان
ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح
لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود
اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وروي عن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني
استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها على الماضي من
الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة
الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر
ان يتوب من الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك رحمه الله
ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله امام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي
لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة
الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد
توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضاها وقرا زيد
ابن علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات
نصوح او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما
ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني ان يجيء به
تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجا والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة
ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي نصب بيدخلكم
ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم نورهم يسعى
على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفي نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون
تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون
مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط
وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون
امنون ام كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت
الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال
المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل
الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود
عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشا اسرارهم مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم
المؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقا ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة
صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد
وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبيا الله بحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين
لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم
القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح
وقوم لوط ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال
امراة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدا اعدا الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنت عمران وما اوتيت من كرامة
الدنيا والاخرة والاصطفا على نسا العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي
المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير
لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
واشارة الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكاملية كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح
لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في
كل باب بالغة من اللطف والخفا حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره فان قلت ما فائدة

قال في تبيان اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة

قوله

قوله سبحانه من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه
وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين
العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح لا غير وان ما سواه
مما يتربح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما
الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان
يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه ويسمونه
حقا وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وامراة فرعون اسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام
امنت حين سمعت بتلقف عصى موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد
واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحا على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة
فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة
فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة
يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي
الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة
وان تكون من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها
عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله
وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل
على ان الاستعاذة بالله والالتجا اليه ومسالة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن
الانبيا فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الروح
وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فيها كما قرئ في سورة الانبيا والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام
ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل
بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت وقرئ بالتشديد
والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه
فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره
سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في
اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى عليه السلام وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت
لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكورهم على اناثهم
ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات
الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا اربع اسية بنت مزاحم امراة فرعون
ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النسا كفضل الثريد على سائر
الطعام واما ما روي عن عائشة انها قالت لرسول الله كيف سمى الله المسلمة تعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا
لها قالت وما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر
بين ولقد سمى الله عز وجل جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للتشريف لما سمى
وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للصنعة امارة تنم عليه وكلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلثون اية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها عذ

النار

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعاظم
وتعالى عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت
القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلا عليه والحيوة ما يصح بوجوده الاحساس
وقيل ما يوجب كون الشي حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت
والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمي علم الواقع
منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا

Copyright © King Saud University